« افناء العدو للحلول مكانه » . وحتى الجبهة الديموقراطية — التي يستعمل احيانا بعض انتقاداتها « لليمين الفلسطيني » ، ليست اكثر شهامة من الشقيري (ص ١٤٧) او اقل تعلقا بالعنف وبفكرة القضاء على اسرائيل (ص ١٤٨) ويستعرض الكاتب احدى الندوات التي نشرتها الانوار في ربيع ١٩٧٠ حول الدولة الديموقراطية ويشدد على رفض ممثل الجبهة الديموقراطية لفكرة امكانية تحول اسرائيل ذاتيا الى دولة تقدمية او اشتراكية (ص ١٥٧) وبالتالي ضرورة محاربتها (تذكير القارىء الاسرائيلي والغربي بعدوانية « العرب » وحتى اليساريين منهم لاسرائيل) .

وهنا نود ان نفتح قوسين لمناقشة هذه الفكرة بشكل سريع ، لانها مروجة بشكل واسع من قبل ما يسمى بيسار الصهيونية وتجد احيانا صدى حتى عند بعض الاوساط الصديقة . ولنضع السؤال كالتالي : **هل يعقل ان تتحول اسرائيل الى دولة تقدمية او اشتراكية ؟** جوابنا طبعا بالنفي وسنوضحه .

في احدى مقولاته الشهيرة ، يقول كارل ماركس انه لا يمكن ان يكون شعب ما حرا اذا اضطهد شعبا آخر . فكيف يمكن ان تكون اسرائيل تقدمية وهي رمز دائم لقمع واستعباد الشعب الفلسطيني . وما هي هذه الاشتراكية التي يبنيها غزاة في ارض الغزو بينما يقبع ضحايا اشتراكيتهم في مخيمات البؤس او تجمعات الاستغلال والقهر القومي .

هذا على الصعيد الاخلاقي . اما على الصعيد المادي ، فان تحول اسرائيل الى دولة تقدمية او اشتراكية على صعيد يهودها انفسهم (اذا تركنا جانبا القهر القومي) يقتضي القضاء على الاعتماد الاقتصادي على الامبريالية والرأسمالية الدولية (بما فيها الرأسمالية اليهودية ، والامريكية منها بشكل خاص) . وهذا التحول يعني تماما القضاء على الفكرة الصهيونية التي كانت اساسا لقيام الدولة والاتجاه نحو الانخراط الاقتصادي في المجتمع الغرب — اسيوي (او الشرق — اوسطي اذا شئنا استعمال هذا التعبير الهجين) أي المجتمع العربي . وهذا التحول بالاضافة الى حل المسألة القومية (الذي يعني الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على الارض التي يختار العيش عليها) يؤدي بنا الى « الدولة الديموقراطية » التي تشكل حتى بهذا **المفهوم المبدئي العام** الذي يحتاج الى توضيح « الحل التقدمي الاشتراكي » الوحيد لما يمكن ان نسميه بالمسألة الاسرائيلية .

مرة اخرى الى موضوعنا .

يعمد هركابي اذا الى التركيز على العدوانية وحب العنف عند العرب والفلسطينيين ويصل الى حد مقارنتهم باللاساميين في عدائهم لاسرائيل . ويشير أيضا الى ان صلب المشكلة هو الرفض العربي وليس لاسرائيل أي ذنب في الوضع المتأزم في المنطقة . (مثلا : « ليست المشكلة في ان نعترف بحق الفلسطينيين في جزء من البلد ، بل في عدم اعترافهم هم والعرب بشكل عام بحقنا في حياة قومية مستقلة » ص ١٠٢) . في كل هذا يستعمل هركابي العسكري قانونا أوليا في مجاله وهو استبدال الدفاع بالهجوم وقلب الادوار للرد على الخصم . والامثلة هنا كذلك عديدة .

يقول مثلا : « كان التعنت العربي هو الذي ادى الى التقسيم ومن ثم الى خلق الدولة اليهودية » (ص ١٩) . نعم ، هكذا : العرب هم الذين خلقوا اسرائيل ، ولولا تعنتهم وعدوانيتهم لما وجدت ، فالصهاينة لم يفكروا اطلاقا في خلق دولة يهودية ولم يقبلوا بالتقسيم الا مرغمين . المبادرة العدوانية دائما في الجانب العربي . الصهيونيون لم يكونوا الا أدوات طيعة في يد القدر الذي يقتص من الاجرام العربي . هكذا يكتب الاستاذ هركابي التاريخ . هكذا يتحول تلامذة هرتزل (صاحب « الدولة اليهودية ») الذين أتوا من اوروبا وسائر أنحاء العالم ليخلقوا بؤرة نزاع (وهذه كلمة ملطفة) في منطقة يسكنها أناس مسالمون ، هكذا يتحولون الى مدافعين عن انفسهم ضد الغزو العربي .

الفصل الاول كله على هذا المنوال . فهو ليس تبريرا للاحتلال الصهيوني فحسب وانما تأكيد على الطابع الدفاعي (كذا) لعملية الاحتلال والتوسع الصهيونية : (« العداء العربي دفع اسرائيل للامتداد لمواجهته بشكل افضل » ص ٥٠) . ويضيف في معرض حديثه عن حلقة مفرغة في المنطقة : « ان هذا العداء ... يفسره العرب على انه نتيجة اتجاهات توسعية ذاتية [عند اسرائيل] مما يضاعف عداءهم » . والامور في الحلقة تعاد الى نصابها اذا قلبت رأسا على عقب . هكذا :